

المحدثون في مصر والأزهر

في

القرن الثاني

المحدثون فى مصر والأزهر فى القرن الثانى

يشرق هذا القرن موصولاً بسابقه .. حيث صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين نزلوا مصر ، وقاموا بأسمى مهمة ، ينشرون العلم ، ويبلغون الناس الأحاديث ، ويعلمونهم الأحكام ، ويفقهونهم ، وتخرج على أيديهم جيل مبارك من التابعين رووا عن الصحابة - بمصر -

منهم أبو الخير مرثد بن عبدالله اليزنى مفتى أهل مصر أنبذ وقد روى عن أبى أيوب الأنصارى وأبى بصره الغفارى وعقبة بن عامر الجهنى ،

ومنهم يزيد بن أبى حبيب روى عن بعض الصحابة وأكثر روايته عن التابعين .

وهكذا أشرق هذا العهد موصولاً بسابقه متأثراً به ، وقامت به نهضة كبرى على يد الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز الذى كان له أكبر الأثر فى تدوين الحديث النبوى،

الخليفة عمر بن عبد العزيز

فى مصر ، وفى حلوان ، ولد عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن أبى العاص بن أمية القرشى الأموى التابعى العظيم وذلك سنة إحدى وستين .

حفظ القرآن الكريم وهو صغير ، وأرسله والده الى المدينة ليحفظ السنن فكان يختلف الى عبيدالله بن عبدالله بن عتبة ... وولى ادارة المدينة زمناً فى خلافة الوليد ، ثم قدم الشام سنة ٩٣ وبويع بالخلافة سنة ٩٩ رضى الله عنه .

سمع الحديث النبوى : من أنس بن مالك والسائب بن يزيد ويوسف بن عبدالله بن سلام ، وخولة بنت حكيم وغيرهم .

وروى عنه : كثير من التابعين منهم أبو سلمة بن عبدالرحمن وأبو بكر بن محمد بن

عمرو بن حزم والزهرى ويحيى الأنصارى وكان رضى الله عنه محبا للحديث شغوفا به
كبير العناية بالسنة حفظا وتدوينا .

وكان ثقة حجة حافظا شهد له العلماء بالحفظ والأمانة حتى لقد كان يقرن بالزهرى فى
علمه .

خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز

تنبئنا أقوال المؤرخين والمترجمين بأن عمر بن عبدالعزيز خليفة عادل بل إنه خامس
الراشدين .

حدث على بن الحسين قال : « أخبرنى خارجة بن مصعب عن ابن عون عن مجاهد
قال : المهادى سبعة : مضى خمسة ، وبقي اثنان . قال خارجة : أبو بكر وعمر وعثمان
وعلى وعمر بن عبدالعزيز رضى الله عنهم .. أى هؤلاء هم الخمسة الذين مضوا » .

وحدث أبو عبيدة السرى بن يحيى بن أبى هنادين قال : « سمعت قبيصة بن عقبة
يقول : سمعت سفيان الثورى يقول : الخلفاء خمسة : أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعمر بن
عبدالعزيز رضى الله عنهم » .

وقد رواه قبيصة عن عباد بن سفيان قال : « حدثنا قبيصة قال : حدثنا عباد السماك
قال : سمعت سفيان يقول : أئمة العدل خمسة : أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعمر بن
عبدالعزيز » .

وفى رواية قال عباد السماك : « سمعت سفيان الثورى يقول : أئمة العدل خمسة :
أبوبكر وعمر وعثمان وعلى وعمر بن عبدالعزيز . من قال غير هذا فقد اعتدى » .

وقال قبيصة فى رواية أخرى : « سمعت عبادا السماك يقول : سمعت الأئمة خمسة :
أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعمر بن عبدالعزيز » .

وحدث مزاحم الخاقانى قال : « حدثنى عمى أبو على عبد الرحمن بن يحيى بن خاقان ،

أنه ذكر لأحمد بن حنبل أنه يروى عن سفيان الثوري أنه قال : أئمة الهدى أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبدالعزيز ، فقال له أحمد بن حنبل : هذا كذا هو .

وكثير من العلماء والكتاب يعتبرون عمر بن عبدالعزيز المجدد الأول للإسلام على رأس المائة الأولى من الهجرة .. ويالها من منزلة سامية .

حدث محمد بن الحسن بن الجنيد قال : « سمعت عثمان بن علي يقول : سمعت حميد بن رنجويه النسائي يقول : قال أحمد بن حنبل : يروى في الحديث : « أن الله يبعث على رأس كل مائة عام من يصلح لهذه الأمة دينها » ... فنظرنا في المائة الأولى ، فإذا عمر بن عبدالعزيز ونظرنا في المائة الثانية فنراه الشافعي » .

والواقع أن الفترة القصيرة التي قضاها الامام العادل عمر بن عبدالعزيز في خلافته ، كانت عودة مباركة الى هذا العهد النبوي المشرق الذي استضافت أنواره على عهد الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى عهد الخلفاء الراشدين الأربعة رضوان الله عليهم أجمعين .

وإذا كنا نرى الخيرات والبركات تفيض على أيدي هؤلاء الأربعة الراشدين ، فيجب أن نتذكر ذلك التمهيد الطويل الذي قام به الرسول صلوات الله عليه ، ليجهل الطريق لمن بعده معتدلاً مستقيماً ، ومن هنا أقبل كل خليفة من هؤلاء الأربعة ، فاستقام وتابع ، وزاد في الخير .

ولكن عمر بن عبدالعزيز جاء في فترة عصيبة : ظهرت فيها طوائف وأحزاب ، ونبتت خلالها فتن ومحن ، واتسعت الفجوة بين الحاكمين والمحكومين ، وتحدث الناس عن المظالم والمآثم ... فإذا عمر يقبل إقبال الفجر الصادق : فيرد المظالم ، وينصف المظلومين ، ويؤدب الخارجين ، وينشر السلام والأمان والاحسان بين جميع الناس ... فلا عجب أن يجعله المؤرخون خامس الخلفاء عليه رضوان الله .

وقد كان ميلاد عمر بن عبدالعزيز في حلوان سنة احدى وستين حينما كان أبوه واليا على مصر ، وروى النووي أنه ولد في مصر كمل نقل رواية تفيد أن أصل عمر مدني ، أي أنه ولد بالمدينة ولعل هذا الاشتباه جاء من تردد عمر بين المدينة ومصر في أثناء يفاعته ،

ولعله ولد فى مصر ثم انتقل الى المدينة صغيرا أو العكس ومهما يكن من أمر فقد قضى عمر فى مصر أياما ظل يذكرها بالخير والثناء فى كثير من المناسبات .

مواقف عظيمة من أعماله المباركة

كان للخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز ، مواقفه الرائعة فى إقرار الأمن والعدالة واتخاذ أدق الأساليب وأحكمها فى إدارة شئون الدولة .

فقد كتب الى عروة واليه على اليمن يسرى :

« أما بعد ، فانى أكتب اليك أمرى أن ترد على المسلمين مظلالمهم ... وتراجعنى . وأنتب تعرف بعد ما بينى وبينك ، ولاتعرف أخذات الموت ... حتى لو كتبت إليك : أردد على مسلم مظلمة ، لكتبت الى : أردها عفراء أو سوداء . انظر أن ترد على المسلمين مظلالمهم ولا تراجعنى » .

وكان عمر يكتب الى عبد الحميد بن عبدالرحمن عامله على المدينة فى المظالم ، فيراجعها فيها ، فكتب اليه عمر :

« إنه يخيلى لى أنى لو كتبت لك أن تعطى رجلا شاة لكتبت إلى : أذكر أم أنثى ؟ ولو كتبت إليك بأحدهما ، لكتبت الى : أصغيرة أم كبيرة ؟ ولو كتبت إليك بأحدهما ، لكتبت : أضائنة أم معزى ؟ فإذا كتبت إليك ، فننذ ولا ترد على والسلام » .

وعن يحيى بن أبى كثير ، قال : « كتب عمر بن عبدالعزيز الى عماله أن أجروا على طلبه العلم الرزق ، وفرغوهم للطلب » .

وكتب إلى والى حمص يقول له : « انظر الى القوم الدين نصبوا أنفسهم للفقه ، وحبسوها فى المسجد عن طلب الدنيا ، فأعط كل رجل منهم مائة دينار يستعينون بها على ما هم عليه من بيت مال المسلمين ، حين يأتى كتابى هذا . وإن خير الخير أعجله .. والسلام عليك » .

وكتب الى واليه فى رسالة أخرى : « مر لأهل الصلاح من بيت المال بما يغنيهم ، لئلا يشغلهم شىء عن تلاوة القرآن وماحملوا من الأحاديث .. » .

وجاءه رجل فقال له : « إنى زرعت زرعاً ، فمر به جيش من أهل الشام فأفسده » . فعوضه عمر عن ذلك عشرة آلاف درهم .

وكتب الى خزنة بيت الأموال بأن يأخذوا من الأفراد النقود الكاسدة التى لايقبلها الناس ، ولاحيلة لهم فى أمرها .. فقال عمر لهؤلاء الخزنة : « إذا أتاكم الضعيف بالدينار لاينفق عنده ، فأبدلوه من بيت المال .. » .

خرج عمر ذات يوم من منزله على بغلة له شهباء ، وعليه قميص له وملاءة ممشقة ... إذ جاء رجل على راحلة له فأناخها ، فسأل عن عمر ، فقبل له : قد خرج وهو راجع الآن ... ثم رجع عمر ، فقام إليه الرجل فشكا إليه عدى بن أرطاة فى أرض له

فأمر عمر برد الأرض الى الرجل ، ثم قال له : « كم أنفقت فى مجيئك إلى ؟ »

فقال الرجل : « ياأمير المؤمنين ، تسألنى عن نفقتى ، وأنت قد رددت على أرضى ، وهى خير من مائة ألف » .

فقال عمر : « إنما رددت عليك حقك ، فأخبرنى كم أنفقت ؟ »

قال الرجل : « ماذا أدرى » .

قال عمر : « احرزه » (قدره بالتقريب) .

قال الرجل : « ستين درهما »

فأمر عمر له بها من بيت المال ..

ولما انصرف الرجل راضيا مسرورا ، صاح به عمر ، فرجع إليه ، فقال له عمر :

« خذ ، هذه خمسة دراهم من مالى ، فكل بها لحما حتى ترجع الى أهلك إن شاء الله »

وهذه امرأة من أهل مصر تسمى « فرتونة » وكانت مسكينة فقيرة سوداء ، وكان لها بيت صغير متواضع تهدم بعض جوانبه ، وكانت لها دجاجات تربيتها لتستعين بها على حياتها ... ولكن اللصوص كانوا يعتدون عليها ، ويسرقون منها دجاجها بسبب تهدم بيتها .

وسمعت المرأة بعدالة الخليفة عمر ، وحبه للخير ، وحرصه على مصالح العباد .. فكتبت خطابا إلى عمر تشرح فيه قصتها ، وتزجوه أن يحصن لها بيتها ، لأنها لاتستطيع ذلك ، وأن يحميها من اللصوص الذين يفجعونها فى دجاجها ، وبعثت بهذا الخطاب الى عمر مع بريد مصر الذاهب الى الخليفة فى دمشق الشام .

وكان من الممكن أن يضل هذا الخطاب بين ركام البريد الضخم الوارد من أفعاء الدولة الواسعة ، وكان من الممكن أن تغضى عنه عين المراجع للبريد أو المطلع عليه ، وكان من الممكن أن تلحظه العين ثم لاتقيم له كبير وزن ... لأنه ليس متعلقا بأمر جليل أو خطير .

ولكن الحاكم العادل ، والخليفة الراشد ، والامام الرحيم ، رأى أن ذلك موضوع له جلالته وخطورته ، ويجب أن يهتم له ويعنى به ، فكتب عمر الى أيوب بن شرحبيل واليه على مصر كتابا عمريا خليفيا يقول فيه :

« من عبد الله عمر أمير المؤمنين ، الى أيوب بن شرحبيل ، أما بعد ، فان فرتونة مولاہ ذى أصبح كتبت الى تذكر قصر حائطها ، وأنه يسرق منه دجاجها ، وتسأل تحصينة لها .. فإذا جاءك كتابى هذا ، فاركب أنت بنفسك إليه حتى تحصنه لها .. » .

فلما جاء الكتاب إلى أيوب ، ركب بنفسه حتى بلغ الجيزة وهو يسأل عن « فرتونة » حتى وجدها .. وإذا هى سوداء مسكينة ، فأخبرها بكتاب أمير المؤمنين ، وحصن لها بيتها ..

عناية الخليفة عمر بن عبد العزيز بالسنة وطلابها

لقد كان الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز يحرص أشد الحرص على نشر السنة وتبليغها ، وتعليمها الناس ، وكان يكتب الى عماله أن يجروا على طلابها والمشتغلين بالعلم الرزق وأن يفرغوه لطلب العلم .

وعن يحيى بن أبى كثير قال :

« كتب عمر بن عبدالعزيز الى عماله أن اجروا على طلبة العلم الرزق ، وفرغوه للطلب »

إنه يريد - أن يتفرغ طلاب العلم للعلم ، والا يشغلهم طلب الرزق والسعى على المعاش عن طلب العلم ، حتى يعنوا بالعلم عناية فائقة ، وحتى يتمحض طلبهم له ، وحفظهم وحرصهم وهضمهم للعلوم والأحكام والسنن ، وحتى لاتضطربهم مطالب المعاش الى الخروج والسعى ، والبحث والتعب فيأخذ كل هذا من أوقاتهم الكثير ، فهو يرى أن توفير معاشهم وتفرغهم لطلب العلم سوف يجعلهم يتقنون العلم أشد الاتقان .

ولعله بهذا يكون أول من أجرى راتبا وشجع طلاب العلم ، ولهذا المسلك الكريم مثيله فى الأزهر الشريف الذى أجرى لطلاب العلم راتبا يشجعهم على الطلب وهو ما كان يسمى قديما بـ « الجراية »

وكان لعمر بن عبد العزيز الفضل فى تدوين الحديث النبوى تدوينا رسميا عندما أصدر أمره الى علماء الآفاق ليجمعوا الحديث ويدونوه .

روى البخارى - فى باب : كيف يقبض العلم :

« وكتب عمر بن عبدالعزيز الى أبى بكر بن حزم :

انظر ماكان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبه فانى خفت دروس العلم

وذهاب العلماء ولا تقبل الا حديث النبی صلی الله علیه وسلم ولتفشوا العلم ولتجلسوا
حتى يعلم من لا يعلم فان العلم لا يهلك حتى يكون سرا .

وكان أول من لبى أمر الخليفة عمر بن عبدالعزيز بتدوين السنة هو الامام ابن شهاب
الزهري ، ثم كثر التدوين بعد ذلك .

وهكذا تتضح لنا همة الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز وعنايته بالسنة النبوية
وتدوينها ، وعنايته بطلاب العلم والحديث .. وهى عناية فجرت النهضة الحديثية فى مصر
وفى سائر الأقطار الاسلامية .